

السياسة وعلماء الدين

في زحمة التحديات الروحية والأخلاقية وفي زحمة التحديات الفكرية والثقافية وفي زحمة التحديات الاجتماعية والسياسية وغيرها والتي تشهدها هذه المرحلة التاريخية بكل مكوناتها الثقافية والاجتماعية والسياسية تدعونا أن نملك وعي الحركة الإصلاحية بكل مساراتها وأفاقها وطموحاتها , وأن نملك وعياً بكل الاتجاهات والقوى المتحركة في الساحة والتي تحاول أن تشارك في تفعيل المشروع السياسي أياً كان وصياغة خطوات المرحلة السياسية فقد يصير البعض على رفض قاطع أن يكون لعلماء الدين أي دور في الممارسات السياسية وينطلق هؤلاء الرافضون من عدة مبررات:

المبرر الأول: ليس من مهام الدين التّدخل في الشأن السياسي .. الوظيفة الأساسية للأديان السماوية هي صياغة الواقع الروحي للإنسان في مساراته الفردية وتهذيب السلوك الأخلاقي وتحسين المحتوى الداخلي للفرد وتطهير جميع غرائزه وشهواته , أما منظوم العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فهي متروكة لصياغات العقل البشري ومنجزات التطور العلمي وإذا تأسس هذا الفهم في تحديد مهمة الدين فلا يبقى أي مجال لتّدخل علماء الدين في المسائل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ... إنه من الواضح إن هذا المبرر ينطلق من فهم خاطئ جداً للدين ولسنا في حاجة الى جهد كبير لأثبت خطأ هذا الفهم والذي يُعبّر عن أحد الداللتين :

الدلالة الأولى : الجهل المفرط بأبسط أسس هذا الدين أو ذلك الدين وأوضح مكوناته , فقراءة عاجلة في أي مصدر من مصادر التشريعات السماوية تبرهن بكل وضوح خطأ وسذاجة هذا الفهم , فالأديان السماوية في تشريعاتها تنظّم حركة الإنسان في جميع مساراتها الفردية والاجتماعية والاقتصادية وفي جميع مجالاتها الروحية والمادية.

الدلالة الثانية : وهو محاولة التشويه المتعمّد لمفهوم الدين , كما هي مهمة الكثير من العلمانيين في مصادرة دور الدين وإقصائه عن مواقع الحضور الثقافي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي وبهدف الاستفراد بكل مواقع الحركة وصياغتها وفق المنظور المناهض لتوجيهات الدين.

المبرر الثاني: وثاني المبررات التي ينطلق منها الرافضون لأعطاء علماء الدين حق التّدخل في الشأن السياسي هو كون العلماء لا يملكون (القدرة) على ممارسة العمل السياسي ولا يحملون خبرة هذا الميدان واستعداداته الفكرية والعملية حيث طبيعة تكوينهم الذهني والثقافي والعلمي هو التعاطي مع المسائل الدينية وقضايا الفقه والشرائع السماوية هذا الكلام فيه مغالطة واضحة فلا شك أن العمل السياسي يفترض التوفّر على مؤهلات وقدرات سياسية , متى توفّرت هذه المؤهلات والقدرات جاز لهذا الإنسان أو ذلك أن يمارس الدور السياسي فلا فرق في ذلك بين عالم دين أو غيره ومتى غابت تلك المؤهلات لم يجز لهما معاً تعاطي السياسة .. إن هناك الكثير من علماء الدين في هذا العصر هم من الدارسين الأكاديميين بالإضافة الى تخصصاتهم الدينية فلماذا يُسمح لكل الناس حتى ولو كانوا عادييين لا يحملون أي مؤهل علمي أن يمارسوا العمل السياسي أما علماء الدين وإن توافروا على أرقى القدرات والمستويات فهم غير مؤهلين للعمل السياسي , هل العقدة من مجرد الزي العلمائي أم أن المسألة تنطلق من حسابات أخرى !!!!

المبرر الثالث: وثالث هذه المبررات أن العمل السياسي بما فيه من الأعيب وأكاذيب ودجل ونفاق فهذه العناوين لا تتناسب والمكانة الروحية التي يتمتع بها علماء الدين ...

أعتقد إن هذا المُبرر قد يبدو وجيهاً عند البعض لسببين :

1 - كون السياسة في واقعها الفعلي يطغى عليها الكذب والزيف والدجل والنفاق .

2 - وجود رغبة حقيقية عند الناس في الحفاظ على المكانة الروحية النقية لعلماء الدين ..

إلا أن هذا لا يصح أن يكون مبرراً لإقصاء علماء الدين عن ممارسة مسؤولياتهم السياسية في الأطر النظيفه ووفق المعايير الشرعية والصحيحة .. إن السياسة في شكلها الزائف أمر مرفوض لا يصح الاعتراف به ثم إن النظافة السياسية من العناوين الكبيرة التي ندعو إليها ونطالب بممارستها ولعل من أهم الوسائل لانتاج هذه النظافة أن يتصدى للعمل السياسي الناس الذين يحملون نظافة الفكر ونظافة الضمير ونظافة السلوك والمحبة والسلام.

وهنا قد يقال بأن الطموح ليس واقعياً وإنما هو طرح مثالي ... لا أدري ماذا يقصد هؤلاء بالواقعية؟؟

إذا كانوا يفهمون الواقعية بأنها التسليم لما يفرضه الواقع وإن كان هذا الواقع خطأ فهذا مفهوم خاطئ , لأن من مسؤولية أصحاب المشاريع الإصلاحية أن يُغيروا الواقع الفاسد وأن يُعيدوا صياغته من جديد أليس هذا هو فهمنا للواقعية !! فإذا كانت مسؤولية حركات الإصلاح السياسي هو إنقاذ الواقع السياسي من جميع صياغاته الفاسدة فلا يجوز أبداً أن نعتبر فساد الواقع السياسي مبرراً لإقصاء الناس الأتقياء المخلصين إن لم يكن العكس هو الصحيح أما كون العمل السياسي يتنافى مع القداسة الروحانية ففكرة صنعناها في ذهنية الأمة أسباب كثيرة قد لا أجد مجالاً هنا للخوض فيها ومعالجتها , وما يهم التأكيد عليه إن هذه الفكرة خاطئة بل مشبوهة رُوج لها أعداء الأديان جميعاً لأهداف كثيرة كالدمار والإرهاب والقتل وغيرها من الأسباب وتسربت الى وعي الأمة في مرحلة التخلف والانحسار وهيمنة القوى الضالة المنحرفة على الواقع الثقافي والاجتماعي والسياسي وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

مازن السهلاني
أمريكا